ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The influence of European balances on the Ottoman Empire

Dr. Ahmed Hafith Ibrahim Al-Azzawi

* *Corresponding author: E-mail* :
Fhhnj7630@gmail.com
07708705959

Keywords:
Ottoman Empire,
European countries,
balance,
treaties,
developments

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 12 Jan. 2021
Accepted 20 Jan 2021
Available online 9 July 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The study of the impact of European balances on the Ottoman Empire came to reveal the reality and image of the political, military and economic scene in the European continent and the challenges it faced in order to be able to confront the Ottoman Empire and try to take it out of the European continent. Since the reign of Peter the Great, 1682-1725 CE, represented by access to warm waters, we also highlighted the competition between European countries to obtain concessions from the Sublime Porte at the expense of other powers, and this was evident in the seventeenth and eighteenth centuries after the Ottoman state was bound by many treaties and thus became in dire need of It provides them with assistance to get out of the crisis that was a result of the deterioration of the political, military, economic, administrative and social conditions

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.7.2021.14

تأثير التوازنات الأوربية على الدولة العثمانية خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر

م. د. أحمد حافظ إبراهيم احمد العزاوي/المديرية العامة لتربية صلاح الدين

الخلاصة:

جاءت دراسة تأثير التوازنات الأوربية على الدولة العثمانية لكشف حقيقة وصورة المشهد السياسي والعسكري والاقتصادي في القارة الأوربية والتحديات التي واجهتها لكي تتمكن من مواجهة الدولة العثمانية، ومحاولة إخراجها من نطاق القارة الأوربية، وبينا الدور الروسي ودخوله المشهد السياسي والعسكري بصورة كبيرة وقوية لتنفيذ السياسة الجديدة التي بدء بتنفيذها منذ عهد بطرس الأكبر 1682–1725م والمتمثلة بالوصول إلى المياه الدافئة، وابرزنا التنافس بين الدول الأوربية للحصول على امتيازات من الباب العالي على حساب غيره من القوى الأخرى وهذا ظهر واضحا في القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد ان تكبلت الدولة العثمانية بالعديد من المعاهدات وبالتالي أصبحت بحاجة ماسة إلى من يقدم لها العون للخروج من الأزمة التي كانت نتيجة انعكاس التوازنات على تدهور الأوضاع على مؤسساتها السياسية

والعسكرية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية .

المقدمة

أخذت عناصر القوة العثمانية بالانحصار التدريجي والتأكل شيئا فشيئا في مختلف النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والإدارية منذ نهاية عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) فعلى الصعيد الدبلوماسي بدأ استعمال هذا المجال ليس لخدمة أهدافها في التقدم ولكن من أجل بقاء الأمور على ارض الواقع كما هي مقابل تقديم تنازلات للدول الأوربية صورت لنا نهاية التفوق العثماني، فعلى الصعيد العسكري توقفت الفتوحات منذ نهاية القرن السابع عشر، اذ لم تنجح محاولات العثمانيين السيطرة على رودس وتلاها فقدان العثمانيين للقرم وهي ارض إسلامية ولاسيما بعد ظهور روسيا القيصرية ومحاولاتها تطبيق السياسة الروسية الجديدة والمتمثلة في محاولة القيام بدور كبير في أوربا عن طريق ادعاءاتها انها الوريث الشرعي للكنيسة الأرثوذكسية والمسؤولة عن العنصر السلافي، وهدفها الاسمى الوصول إلى المياه الدافئة والخروج من عزلتها، وبالتالي أصبحت الإمبراطورية العثمانية ليس بمقدورها الدفاع عن نفسها بدون تحالفات مع طرف أوربي ضد طرف أوربي آخر، ومن الناحية الاقتصادية أظهرت التوازنات ان اقتصاد الدولة اتجه صوب التبعية الاقتصادية للاقتصاد الأوربي .

تضمنت الدراسة أولا أوضاع أوربا في القرن السابع عشر بدراسة التوازنات الأوربية ودورها وتأثيرها في مواجهة الدولة العثمانية ، وكذلك درسنا مواقف الدول من المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية او بين الدول الأوربية، وتطرقنا للموقف الروسي ووضحنا تأثير المعاهدات على أهداف وسياسة الدولة العثمانية وانعكاس التوازنات الاوربية على مؤسسات الدولة و اوضحنا طبيعة التنافس الأوربي وتأثيره على الدولة العثمانية ،واستخدمنا العديد من المصادر العربية والعثمانية وعددا اخر من المصادر الاجنبية .

أولا: أوضاع القارة الأوربية في القرن السابع عشر :

أصبحت العلاقات الجيدة بين الدولة العثمانية والدول الأوربية تمر بمرحلة جديدة تختلف من حيث أسلوب التعامل وثقل كل طرف على الساحة السياسية والعسكرية في أوربا[1].

فقد شهدت الساحة السياسية في أوربا اكثر من حدث مهم ساعد على ان يكون هناك توازن وتفاعل في العلاقات بين الدولة العثمانية والممالك الأوربية فقد عقدت الدول الأوربية العديد من المعاهدات والمواثيق فيما بينها او مع الدولة العثمانية رافقها ان مرت الدولة بالعديد من الحروب والمعاهدات مع الدول الأوربية منها معاهدة ويستفارك 1606 ومعاهدة ويستفاليا 1648م ومعاهدة كارلوفيتز 1699م مرورا بالعديد منها في القرن الثامن عشر حتى معاهدة كوجك كينارجي 1774م، فلهذه المعاهدات تأثير مهم على الساحة الأوربية وعلى الدولة العثمانية رافق ذلك حدوث تطورات مهمة على الصراع القائم بينهما ، اذ أصبحت هذه المعاهدات تشكل عملية توازن بين الدول الأوربية نفسها ومن ثم مع الدولة العثمانية الذي بدورها بدأت ترتكز عليه في علاقاتها الخارجية[2] فمنذ الحرب الفرنسية الإسبانية حول ايطاليا خلال

النصف الأول من القرن السادس عشر أخذت نظم إقليمية لتوازنات القوى تتكون بين الدول الأوربية في مناطق عدة من أوربا حتى أصبحت عمليات توازن القوى واضحة واثمرت عن نتائج في غاية الاهمية فقد بدأت تظهر بوادر وحدة اوربية في مواجهة الدولة العثمانية [3] .

ازداد ضغط الدول الأوربية على الدولة العثمانية بعد اشتداد التنافس الفرنسي البريطاني ولاسيما بعد ان عقدة فرنسا تحالفا مع إسبانيا ومعاهدة هي (كانوكمبوسيس 1559م) [4] لتسوية الخلافات بينهما ولمواجهة التقدم الديني البروتستانتي الجديد الذي تتزعمه بريطانيا وإنهاء الصراع الموجود في أوربا بين الطرفين لمواجهة الدولة العملاقة والقوية بريطانيا [5] .

وكذلك زادت فرنسا ضغطها على الدولة العثمانية من أجل تجديد التحالف الفرنسي العثماني فقد نجحت بذلك فرنسا في عام1569م بتجديده وزادته بامتيازات جديدة لصالح فرنسا عن الامتيازات التي حصلت عليها في معاهدة 1535م[6] ، وهذا ما أثار مخاوف وخشية بريطانيا فعملت على عقد معاهدة جديدة مع الدولة العثمانية لكي تكون بمواجهة التحالف الفرنسي الإسباني (الكاثوليكي)، إذ اعتقدت بريطانيا أن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على حفظ التوازن في القارة الأوربية والمنطقة من جهة والقوة الكفيلة للوقوف يوجه المد القيصري الجديد باتجاه شرق ووسط أوربا ومنعها من الزحف بهذا الاتجاه لما تمتلكه من قوه ومساحة جغرافية وتأثيرها على العالم الإسلامي من جهة أخرى فعملت على ان تكون الدولة العثمانية إلى جانبها لمواجهة هذه التطورات والمواقف الخطيرة على الساحة الأوربية فعقدت معها تحالف عام 1581حصلت على امتيازات جديدة لبريطانيا من الدولة العثمانية ،[7] واستعانت الملكة اليزابيث الاولى Elizabeth1(1558–1603م) بالسلطان العثماني مراد الثالث (1574–1595م) للاشتراك بعمل عسكري بحري ضد إسبانيا عام 1587م [8] .

وبالمقابل فشلت الدولة العثمانية الاستفادة من التحالفات التي عقدتها وتحريكها ضد الثورات والانتفاضات داخل البلقان المدعوم من قبل الروس الذين استفادوا واستغلوا الظروف التي تمر بها الولايات البلقانية التابعة للدولة العثمانية وتحريك العناصر الموالين لهم بالتمرد والثورة والعصيان ضد الدولة وبالتالي لم تستفد الدولة من المعاهدات والاتفاقيات التي وقعتها لحماية مصالحها ووجودها في البلقان،فقد ظل العثمانيين لوحدهم بمواجهة الخطر الروسي قابلها عدم اهتمام بريطانيا وفرنسا الحليفين للدولة العثمانية لانشغالها بالحروب والصراع الديني القائم في القارة الأوربية[9] .

أسهمت التطورات على الساحة السياسية والعسكرية في أوربا نوعا ما في تغير الصورة داخل القارة، اذ كان للانتصار الانكليزي على الأسطول الإسباني عاملا حاسما على فقدان إسبانيا لمكانتها البحرية والسياسية وارتفاع مكانة بريطانيا ودورها في الساحة سواء في أوربا او المستعمرات في العالم[10] .

شهد شرق ووسط أوربا صراع سياسي وعسكري في القرن السابع عشر أدى إلى مواجهة عسكرية متكررة بين الروس الذين بدورهم تحالفوا مع النمساويين ضد العثمانيين وبالتالي أصبحت ساحة الصراع تختلف عما كانت عليه في السابق ففي البلقان الذي شهد حالة صراع وتنافس فيما بين الإمارات والولايات البلقانية، فقسم يطلب المساعدة من الدولة العثمانية مقابل ان يكون تحت حماية العثمانيين ولاسيما بعض

الإمارات في وسط أوربا للتخلص من الضغط النمساوي تارة ومن الضغط الروسي الجديد والقسم الاخر ارتمى بحضن مملكة النمسا والمجر والقسم الاخر ذهب باتجاه الحصول على الدعم الروسي[11] .

بقي الصراع بين النمسا والدولة العثمانية(1578–1602م) قائما على الرغم من الانتصارات والمكاسب أحيانا والهزائم احيانا أخرى لكل طرف لكن ظل هذا الصراع دون موقعة حاسمة للطرفين، فقد أثرت أحداث داخلية وخارجية على الدولة العثمانية على عدم التدخل بشكل مباشر منها حالة الصراع مع الدولة الصفوية في بلاد فارس (1618–1639م) [12]

كان لصلح ستفاتروك مع النمسا 1606م البداية لتراجع الدولة العثمانية على الساحة الأوربية على الرغم ان الصلح لم يأتي بتغيرات إقليمية، لكن تغير شكل وطبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية وبين الدول الأوربية [13]، فقد تغيرت أساليب الدبلوماسية اذ أصبح العثمانيون يحترمون النمسا في خطاباتهم السياسية والدبلوماسية نتيجة لاعتراف السلطان العثماني بالإمبراطور النمساوي كند له، وبذلك أصبحت العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك أوربا تقوم منذ ذلك الوقت على قدم المساواة، ولاسيما بعد ان أثر الدخول الروسي على الساحة الأوربية في شرق أوربا وتأثيرها على العلاقات القائمة وتقديمها الدعم لكثير من الولايات والممالك التابعة للدولة العثمانية وهذا ماأثر بنوع من السلبية على الدولة العثمانية الذي بدء الفساد ينخر جسدها مما اضطرها إلى عقد معاهدات صلح مع القوى والممالك في وسط وشرق أوربا[14].

يبدو ان هذا الصلح دليل على عدم قدرة الدولة العثمانية الحالية على القتال على جبهتين في وقت واحد بحيث ابدو رغبة في توحيد جهود الدولة من احل التفرغ لقتال الصفويين (1618–1639) و القضاء على القلاقل في آسيا الصغرى والشام وإقامة معاهدات الصلح مع الأوربيين لحين استقرار الوضع.

استمرت العلاقات في النصف الثاني من القرن السابع عشر دون تغير بين الدولة العثمانية والقوى الأوربية ، ولاسيما لانشغال الأخيرة بالحروب الدينية والصراع المذهبي الكاثوليكي البروتستانتي، الذي استمر نحو ثلاثون عاما (1618–1648م)، والذي انتهى بصلح ويستفاليا في حين كانت روسيا القيصرية تمر بمرحلة البناء والتوسع وهذا ما كان واضحا في سياستها في المرحلة القادمة[15]، وتعدَّ الحرب بين الدولة العثمانية والبندقية[16]، وهي الحرب الوحيدة التي كانت بسبب غزو جزيرة كريت احد ممتلكات البندقية في المتوسط، وعلى الرغم من استيلاء العثمانيين على الجزيرة 1645م إلاَّ أنَّ ارتفاع تكاليف الحملة أدت إلى استنزاف موارد الدولة الأمر الذي دفع بالدولة العثمانية للاستعانة بحلفائها ولاسيما الانكليز من أجل تثبيت وجودها والحصول على الدعم المالي عن طريق اقراظها من المصارف البريطانية والأوربية وبالمقابل ذلك أعطى السلطان العثماني في 1655 تسهيلات للتجار الانكليز للعمل والمتاجرة بأكثر حرية من ذي قبل داخل الأراضي العثمانية[17]، فقد تطورت علاقات الدول الأوربية بعد هذه المعاهدات فيما بينها، اذ أصبحت بريطانيا لها باع طويل من العلاقات اذ شهدت علاقاتها مع النمسا القوة الجديدة القديمة التي بدأت تتطلع بعلاقات جديدة مع روسيا القيصرية التي تحاول السيطرة على أوربا الشرقية تحت ذريعة حمايتها من الخطر العثماني ومن محاولة وخطر إمبراطورية النمسا والمجر التي تريد السيطرة على اغلب الممالك في أوربا الشرقية [18]

أسهمت المساندة البريطانية على وقوف الدولة العثمانية بوجه المخططات الروسية النمساوية مقابل إعطاء بريطانيا تسهيلات جديدة للتجار الانكليز في الأراضي العثمانية 1660 ولاسيما بعد ان شهدت هذه الفترة تجميد للعلاقات مع فرنسا وتحسن العلاقات العثمانية البريطانية الهولندية[19] ، لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا اذ لم يأتي بنتائج جيدة، وأخذت الممالك الأوربية (إسبانيا ووفرنسا والبابا وقراصنة مالطا) تقدم مساعدة للبحارة البنادقة من أجل اطالة امد الحرب واستنزاف القدرات والأموال وإمكانيات الجيش العثماني والمساهمة في تحجيم الدور البريطاني في داخل القارة الأوربية ولو بنسبه معينه [20]

بذلت أوربا جهود كبيرة من أجل إيجاد لغة تفاهم ووحدة سياسيه بينهم لمواجهة الخطر العثماني وتجاوز الخلافات الدينية، فقد دعا البابا الكسندر السابع(Alexander VII 1655–1667) م[21]. لك فرنسا التخلي عن الصداقة العثمانية الفرنسية من أجل مصلحة الدين ومصلحة أوربا والعالم المسيحي[22]، وقد جرت الحرب سجالا بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة عند قصبة فاشغار المجرية تم التاكيد على معاهدة ستفاتورك 1606م ، وبذلك فقد زاد الضغط على الدولة العثمانية من جانب روسيا القيصرية مما أدى إلى نشوب حربا وصدامات مسلحة بين الطرفين (1677–1681 م) وانتهت بقرار الصلح الذي حققت روسيا فيه مكاسب على حساب الدولة العثمانية القوى الكبرى في وسط وشرق أوربا وهذا أثر بشكل كبير على الدولة العثمانية وأثار خشية الدول الأوربية الغربية ولاسيما بريطانيا وفرنسا على مصالحها في وسط وشرق أوربا وفي آسيا وافريقيا من الزحف الروسي الجديد في وسط وشرق أوربا وبالتالي بدأت باتخاذ بعض الخطوات لصالح الدولة العثمانية لمواجهة الخطر الروسي الجدبد[23] ، لكن استطاعت مع مرور الوقت القوات العثمانية من التوغل داخل الأراضي النمساوية والوصول إلى عمق الأراضي النمساوية، وهذا بسب عدد من الخطوات الإصلاحية الإدارية والعسكرية الذي قامت بها السلطات العثمانية ولاسيما بعد ان تم تغير منصب الصدر الأعظم[24]،اذ شهدت هذه المؤسسة العديد من الهزائم على ايدي قوى وممالك كانت تخشى وتهاب ان تواجه جيش الدولة فقد امتدت بعد صلح كارلوفيتز دوره من التردد والفساد امتدت لما يقارب من النصف قرن لكن بعد حركة إصلاح قادها السلطان محمود الأول (1730–1754) استعادت معظم مافقدته في صلح كارلوفيتز وذلك بموجب معاهدة بلغراد 1740م[25] ، وساهم التنظيم العسكري الجيد ومحاولة القضاء على الفساد زادت من همة الجيش ورفعت معنوياته ولاسيما بعد استلام اسرة كوبرلي(1656–1702م) السلطة[26] .

استعد الجيش العثماني لمحاربة النمسا، فخرج عام 1683م بجيش بلغ تعداده (500) ألف مقاتل، وكانت بداية الحرب هي فتح فينا قبل الاستيلاء على قلعة مأموران ديانق[27]، ثم اتجه الجيش من بلغراد ووصل القلعة المذكورة، ومن هناك عبر نهر التونة، ولم يتمكن الجيش النمساوي من منعه من التقدم، وكان تقدم الجيش العثماني نحو فينا بدلاً من الأراضي المجرية، مفاجأة للنمسا، وأثناء تلك الأحداث كان هناك اضطراب في بروسيا وروما وبولونيا، مما دعاهم إلى الاتفاق ضد الدولة العثمانية، وحاول البابا إقناع فرنسا بالدخول معهم في الحلف، لكن فرنسا رفضت ، وذلك لأن فرنسا لديها مصالح تجارية في الشرق والدولة العثمانية [28]. بعد وصول الجيش العثماني عند اسوار فينا دافع عنها اهلها واسبسلوا في

الدفاع وحقق الجيش العثماني انتصارات متنوعة لكن حصانة اسوارها منعتهم من التقدم ، وهنا قرر القادة العثمانيين تشديد الحصار عليها حتى تستسلم لهم لكن ظروف آلمت بالعثمانيين ا دت الى رفع الحصار عنها مما ادى الى فشل الحملة والحصار العثماني للعاصمة فينا[29] .

أدى فشل الحصار العثماني للعاصمة النمساوية فينا 1683م فقد اضطر الجيش العثماني لفك الحصار بعد هزيمته من جيوش النمسا وبروسيا وبولندا فقد واجه حلفا اطلق عليه الحلف المقدس الذي دعا البابا انوسنت الحادي عشر Innocent XI (1676-168م) [30]، وضم كل من النمسا وبولندا والبندقية وروسيا الذي تكون عام 1684م وكانت أول خطوة جماعية لأوربا في محاولة إخراج العثمانيين من أوربا والبداية لتوجيه وتوحيد الجهد الأوربي منذ مدة طويلة، فقد بدء رجال الدين على حث الزعماء والساسة الأوربيين على التغاضي عن الخلافات الموجودة بينهم لمواجهة الخطر الإسلامي العثماني[31] .

ثانيا : التنافس الأوربي وتأثيره على الدولة العثمانية

حققت النمسا وروسيا في القرن السابع عشر والثامن عشر انتصارات على الدولة العثمانية في مختلف الجبهات البرية والبحرية في حين كانت بريطانيا وفرنسا تمارسان دور الوسيط وصاحب التدخل في المسألة الشرقية، اذ كانا يتدخلان في الشأن الداخلي والخارجي العثماني و في العالم الإسلامي التابع للدولة العثمانية وهذا ما زاد الفوضى السياسية والضعف وبالتالي ازداد النفوذ السياسي الأوربي إلى جانب التجاري المتغلغل في مرافق وولايات الدولة بحيث بدأت هذه الدول تريد من الدولة العثمانية الحصول على مزيد من المكاسب الاقتصادية والتجارية مقابل وقوفها ومساندتها للوقوف والتصدي بوجه الخطر الروسي[32] .

لم يتعرض العالم الإسلامي المتمثل بالدولة العثمانية للهجوم الأوربي المباشر فقد ظلت الهيمنة والمحاولات الأوربية مقتصرة على سواحل البحار الشرقية والجنوبية وكذلك الامتيازات التجارية والمالية ولكن مع قيام حركة الاستكشافات الجغرافية سيطر أسلوب الاستعمار المباشر على الدول وكانت الحملة الفرنسية على مصر والشام البداية الأولى للمرحلة الاستعمارية الجديدة [33]، ويبدو ان تغير موازين القوى لدى الدولة العثمانية بحيث أصبحت تسير من القوة والهيمنة إلى الضعف والتجزئة وأثر ذلك بدوره على مصير كثير وغلب البلدان الإسلامية في القارتين الأسيوية والافريقية،فضلاً عن أوربا .

كان للتغيرات في المجتمعات الأوربية انعكاساتها على توازن القوى داخل القارة الأوربية وخارجها، اذ كانت النهضة الأوربية لها اثار بعيدة المدى منها الكشوفات الجغرافية في العالم الجديد وان ازدياد النمو في القارة الأوربية أصبحت هذه الدول تشكل تهديد للقوات العثمانية التي اثقتلها المشاكل الداخلية وتدهور اقتصادها [34] .

ان انشغال الأوربيين بالصراعات بين قومياتهم الناشئة في أوربا والصراع المستمر وحول المستعمرات وكذلك الحروب الدينية، وبعد تسوية كل هذه الأوضاع فقد وجه الأوربيين اهتمامهم وعدائهم للدولة العثمانية المسلمة وبدأوا يعملون على ذلك من خلال اثارت النعرات الطائفية في ولايات الدولة ولاسيما في الولايات التي يوجد فيها أقليات غير مسلمة والمطالبة بحقوق وامتيازات لهم[35] .

انتقل التنافس الأوربي لهولندا وفرنسا وبريطانيا ولكل من إسبانيا والبرتغال في المحيطات والعالم الجديد إلى مرحلة جديدة هي التنافس البريطاني الفرنسي والذي اشتد في اواخر القرن الثامن عشر مع هيمنة بريطانية خارج القارة بينما كانت الساحة الداخلية في أوربا يتنازع النفوذ فيها كل من روسيا وبروسيا حتى نهاية القرن التاسع عشر هذه هي الصورة السياسية والعسكرية والاقتصادية في وسط وشرق القارة [36] .

إن الصراع بين القوى الأوربية للهيمنة على القارة وعلى المستعمرات كان من أهم سمات هذا الصراع في القرن الثامن عشر وهو ضعف دور الهابسبورج وبروز الدور الروسي في التصدي للأتراك العثمانيين وانشغال فرنسا وبريطانيا وهولندا بالتنافس على المستعمرات في العالم الجديد[37] .

كانت المرحلة الأولى من التنافس في القرن الثامن عشر نتائج الاحتلال المباشر للأرض مما أدى إلى توسع الصدام مع العثمانيين ومحاولات بعض الدول الأوربية إلى احياء فكرة الحروب الصليبية [38]، ويبدو ان كانت الدولة العثمانية في السابق تستطيع توظيف الخلافات وعملية التوازن الأوربي لخدمة مصالحها وأصبح هذا الأمر خطير فيما بعد على مصالح وسيادة الدولة.

ثالثا: الدور الروسي وتأثيره على أوربا والدولة العثمانية

ان الاحتكاكات والمعارك العثمانية الأوربية والتي حققت في بعضها الدولة العثمانية الانتصار كانت مع طرفين أوربيين هما النمسا في وسط أوربا وروسيا القيصرية في شرقها منذ بداية القرن السادس عشر، اذ كانت إمبراطورية النمسا قد مثلت العدو الأساس للعثمانيين منذ بداية القرن السادس عشر وان العداء الروسي العثماني قد تبلور بوضوح اذ شغلت العلاقات الروسية حيزا مهما وأساسيا من العلاقات العثمانية الأوربية خلال تلك الفترة[39]، توفرت ظروف ملائمة حصلت في النصف الثاني من نفس القرن جعلت من الوضع الدولي ملائم لتحقيق التطلعات الروسية تجاه الدولة العثمانية إلى جانب بولندا، وجدير بالذكر ان هذه الدولتين فضلاً عن السويد كانت في يوم ما دول قوية، أصبحت في هذه الحقبة دولاً ضعيفة أخذت بالتدهور والانحلال لدرجة انها أصبحت غير مؤهلة لإعاقة التوسع الروسي[40]،بحيث أصبحت روسيا ذات تأثير كبير وهام على ميزان القوى الأوربية بسب استراتيجية روسيا الجديدة التي اتبعتها وحاول تطبيقها على ارض الواقع القيصر الروسي بطرس الأكبر(1682–1725م) [41] ، لاسيما بعد ان توسعت امارة موسكو على حساب خاني التتر في الشرق خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر والصدام الروسي العثماني في استراخان عام 1569م وهي أول مواجهة مباشرة بين جيش الدولتين مع صدامات محدودة النطاق وان اتسمت بالتكرار خلال النصف الأخير من القرن السابع عشر[42]

ازدادت درجة العداوة بين الطرفين مع اتجاه روسيا نحو الغرب والجنوب مع بداية نهضتها الحديثة منذ عهد بطرس الأكبر كما اسلفنا وخلفاؤه، ان اذلال بطرس الأكبر على ضفاف البروث لم يبرح عن اذهان الروس، إذ كان الرعايا الروس يلتهبون غيظاً وحقداً على الدولة العثمانية[43]، وفي الوقت ذاته كانت روسيا تتطلع إلى جعل البحر الأسود بحيرة روسية، وإلى إمكانية الاستيلاء على استانبول، وعلى مناطق ستراتيجية في الدولة العثمانية، وبصورة خاصة مضيقي البسفور والدردنيل بوصفهما المنفذ الوحيد من

البحر السود إلى مياه البحر المتوسط الدافئة، ومن جانب اخر كانت روسيا ترى نفسها حامية العقيدة الأرثوذكسية في اوربا والعالم ووراثة الإمبراطورية البيزنطية [44]، وبعد تولي كاترين الثانية (1762-1796) استمرت عل النهج الذي سار عليه بطرس الاكبر واخذت تثير المشاكل والمطالبات مع الدولة العثمانية مما ادى الى تجددت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، إذ استمرت هذه الحرب عدة اعوام من 1768 ولغاية 1774، وقد وقفت إلى جانب الدولة العثمانية كلاً من النمسا وفرنسا، ويأتي ذلك الموقف بسبب مخاوفهما من تزايد النفوذ الروسي في الدولة العثمانية، أما العامل الأخر لتلك الحرب هو رغبة الدولة العثمانية بالمحافظة على ممتلكاتها و رغباتها في مناطق البحر الأسود وتوسيع أراضيها على حساب روسيا وبولندا واوكرانيا[45]

اتضحت الستراتيجية الروسية هي الوصول إلى المياه الدافئة فقد كان يجب عليها التوسع غربا ووسط وفي شرق أوربا وان لم تكن بالمهمة السهلة فكان لابد لها ان تصطدم بدولة قوية مثل السويد التي تمتد سيطرتها على البلطيق وبولندا الكاثوليكية التي ترفض أي تقدم روسي ارثذوكسي والدولة العثمانية التي تسيطر على البحر الأسود وتمثل العدو الأكبر لروسيا التي تدعي انها وريثة الدولة البيزنطينية الأرثوذكسية وان اغلب رعايا من هذه الديانة هم تحت خيمة الدولة العثماية [46] .

يبدو ان فتح روسيا للطريق نحو الغرب وامتداد نفوذها على بحر البلطيق والبحر الأسود كان لابد ان يؤدي إلى صراع مع مملكة السويد وفي الشرق مع الدولة العثمانية وهذا ما يفرض على روسيا التحالف مع اعدائها وخاصة النمسا العدو التقليدي للعثمانيين والتحالف مع بولندا الكاثوليكية ضد السويد البروتستانتية وهكذا أصبح التصور لنا على انها حرب قوميه دينية امتزجت بها مصالح الدول مع بعظها ترغب كل دولة التخلص من الخطر المحدق بها .

رابعاً: تاثير التوازنات الاوربية على المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية

وكانت للمعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها الدول الاوربية مع الدولة العثمانية عززت من زيادة وجودها وارتفاع حجم مصالحها وازدياد درجة تدخلها بحجة حماية مصالحها ، فقد اظهر صلح سيفاروك 1606م بمثابة الكشف عن ضعف الأوضاع الداخلية العثمانية وأثارها السلبية على الاتجاه الخارجي ولاسيما بعد فترة حكم السلطان سليمان القانوني، فقد تولى من بعده عدد من السلاطين الضعاف وتعاقبت دورات الضعف وعدم الاستقرار الداخلي والخلل في عملية الإصلاح والضعف جراء ذلك انعكس على السياسة الخارجية للدولة العثمانية قابلها ضعف في محاولات التقدم في أوربا والدفاع والحفاظ على ممتلكات والأراضي العثمانية [47]

وتعد معاهدة كالورفتز التي نتجت عن مؤتمر دولي عقد بعد نهاية حرب عثمانية روسية استولت روسيا على ميناء أزوف على البحر الأسود وقد وقعت مع الحلف المقدس (1683-1699) معاهدة أصبحت فيما بعد نقطة تحول في طبيعة العلاقات والتوازنات داخل القارة الأوربية وأصبح موقف الدولة العثمانية موقف المدافع وليس المهاجم او المبادر صاحب الجولة الأولى والقرار الأول وأصبح لابد لها من الاعتماد على الدول الأخرى لمواجهة الاعتداءات والمواقف الخارجية [48] .

كان للمعاهدة التي وقعتها الدولة العثمانية كقوة مهزومة فقد احتاجت إلى وساطة الدول الأوربية ولاسيما بريطانيا من أجل تخفيف نتائج الفشل العسكري لقواتها بالوسائل الممكنة والخروج بأقل الاضرار من هذه المعاهدة [49]، فقد تنازلت الدولة العثمانية بمقتضى المعاهدة عن اوكرانيا وبوديا لبولندا والمجر وترانسلفانيا للنمسا والمورة للبندقية فقد اعتبرها الخطوة الأولى لبداية الانسحاب من أوربا فقد اتسعت وامتدت روسيا ليصل اطرافها نحو الجنوب وصار لها نفوذ على البحر الأسود وزاد تهديدها للدولة العثمانية بشكل أكبر من السابق فقد ازداد مساحة روسيا وأصبحت حدودها قريبة من قلب الدولة العثمانية اسطنبول[50] .

شعرت أوربا انها بموقف افضل عما كانت علية في السابق بفضل سياسة التوازن التي اعتمدتها ، فقد ازدادت قوة جيوشها وقوتها الاقتصادية و عملت على التغاضي عن الخلافات الموجودة فيما بينهم والعمل بشكل جماعي خدمةً لأهدافهم ولاسيما كان دور الكنيسة اللاعب الأول في وحدة الموقف الأوربي، وأصبح موقف العثمانيين موقفا دفاعيا واضحا وهذا ماقاد إلى ان تتأثر علاقاتها السياسية نحو أوربا في المستويات والمجالات كافة، اذ بدء الأوربيون يضغطون على الدولة العثمانية إجراء إصلاحات سياسية وإدارية واقتصادية في ولاياتها ولاسيما في البلقان خدمتا لمصالحهم ولرعاياهم داخل الدولة العثمانية [51] .

ان قرار بحث بنود المعاهدة واقرارها على شكل مؤتمر دولي حضرته لأول مرة الدولة العثمانية مع الاطراف المتنازعة معها مع حضور بريطانيا وهولندا كوسيطين وقد خرجت المعاهدة بمواقف خطيرة كما اسلفنا على الدولة العثمانية وجيدة للدول الأوربية اذ أصبح على الدولة العثمانية ان تشرك الدول الأوربية في النزاعات العثمانية الداخلية ولاسيما في البلقان واشراكهم وأخذ مشورتهم عند إصدار أي تشريع او مرسوم سلطاني يهم رعايا هذه الدول، وأصبح للدبلوماسية والحراك السياسي الدبلوماسي دور وتأكيد كبير على الساحة الأوربية سواء كانت بين الأوربيين انفسهم او في علاقاتهم مع الدولة العثمانية [52]، كان رأي النمسا خلال محادثات السلام ضرورة اشراك الدولة العثمانية عضواً في (التوازن الأوربي)، الأمر الذي يشير إلى عد الدولة العثمانية دولة غير معادية بل هي دولة شرعية متساوية مع بقية الأعضاء في أوربا، غير ان كاترين الثانية قد اعترضت على هذا الاقتراح، وذلك لرغبتها في تقسيم الدولة العثمانية وتعللت بذلك بأنها غير قادرة عن التخلي عن المسيحيين في البلقان[53].

أصبحت الدولة العثمانية بموجب الضغط الذي بدأت تمارسه الدول الأوربية على الباب العالي وبمساندة فعالة وقوية من جانب روسيا القيصرية غير قادرة عن الدفاع عن أراضيها بدون وجود حلفاء داعمين لها ووقوفهم إلى جانبها للتصدي والتقليل من الخطر الروسي الأوربي على الدولة ولاسيما في البلقان[54] .

كانت وماتزال تواجه عددا من القوى المعادية التي غالبا ما كانت تنسق فيما بينها من خلال نظام مرن من التحالفات فيما بينهم بحيث أصبح العثمانيين اكثر اعتمادا على نظام أوربي قائم على القوى الأوربية الغربية بريطانيا وفرنسا لتقف إلى جانبها من أجل اقامة نوع من العلاقات الدولية والتوازن داخل القارة لخشيتها من التوسع والسيطرة الروسية على مساحة كبيرة من ظفتي البحر الأسود والخشية من وصول

الروس إلى المتوسط، وبالتالي فظلت هذه الدول تقدم العون والمساعدة للدولة العثمانية للوقوف بوجه الدب الروسي الزاحف باتجاه المياه الدافئة[55].

ان الصراع العثماني الروسي منذ عقد معاهدة كارلوفيتز وحتى معاهدة كوجك كينارجي مر بعدة حروب منها (1736،1771–1740) و(1768–1772) وانتهت هذه المرحلة بعقد معاهدات بساروفتز 1718 وبلغراد1740 وكوجك كينارجي 1774م، وتعد هذه المعاهدة بداية النهاية لنفوذ العثمانيين على شبه جزيرة القرم، ورأت الدولة العثمانية في سكوتها عن قيام روسيا باحتلال القرم حلاً مؤقتاً تفرضهُ عليها الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، وان استعادت هذه الأراضي مرهون بالظروف الداخلية والدولية، وقد تحققت تلك المناسبة بزيارة كاترين الثانية والإمبراطور النمساوي جوزيف الثاني إلى شبه جزيرة القرم لتعلن الحرب على روسيا في اب 1787[56]، وقد استمرت تلك الحرب خمس سنوات دخلتها العديد من الأطراف إلى جانب الدولتين طالبت خلالها الدولة العثمانية بإعادة القرم، غير ان روسيا وبسبب حراجة موقفها إلى جانب النمسا قد دفعتهما إلى عقد الصلح، وتم ذلك بعد مفاوضات ومساومات طويلة بدأت عام 1791، فقد رأت روسيا نفسها باتت وحدها في الحرب فتم التوقيع على معاهدة للصلح في ياسي في العاشر من كانون الثاني 1792 بعد تخلي العثمانيين عن مطالبتهم باستعادة القرم فضلاً عن تنازلها عن (اوزي) لروسيا، وان تعيد روسيا للدولة العثمانية الافلاق والبغدان وكيلي وعدد من المناطق الأخرى وفضلا عن بعض الشروط والبنود والاخرى[57].

وأنَّ هذه المعاهدات والاتفاقيات تدخلت بها عدة دول أوربية احيانا لنصرة رعاياها داخل الدولة العثمانية والوقوف وتقديم المساعدة للعثمانيين لمواجهة التهديد والخطر من جانب روسيا القيصرية، فقد بذلت جهود دون الوصول إلى المضايق والحفاظ على الدولة العثمانية كدولة حاجزه بين أوربا الغربية وروسيا لابعاد الخطر الروسي بعيد عنهم وذلك يجعل الدولة العثمانية حائط الصد ضد التقدم الروسي وبالتالي تقديم العون لها خدمة مصالحهم وإبعاد الروس عن محولة الوصول إلى المياه الدافئة[58] .

خامساً: انعكاس وتأثير التوازنات الاوربية على مؤسسات الدولة العثمانية

هناك العديد من العوامل المهمة التي أثرت بشكل مباشر او غير مباشر على ضعف الدولة العثمانية على مختلف المجالات وعدم قدرتها السياسية والعسكرية على مجابهة او الوقوف بوجه الدبلوماسية الغربية الجديدة التي ظهرت بشكل قوي بعد قيام الثورة الصناعية وتاثير التوازنات الاوربية على مختلف مؤسساتها وهذا بدوره انعكس بتأثير سلبي على العديد من المؤسسات العثمانية ومنها:

أولاً: العوامل السياسية والادارية والدينية: لقد اثرت التوازنات الاوربية بشكل مباشر او غير مباشر على تدهورت صفات السلطة العثمانية ابتداء من السلاطين إلى الصدور العظماء فقد كان لدول الاوربية المتنفذة في الدولة العثمانية تأثير في اختيار وتولى عدد من السلاطين الضعفاء غير المدربين وغير المهتمين بامر الدولة سوى تصفية وأبعاد المنافسين والتقرب من احدى الدول الاوربية كي تكون داعمة وحامية والحفاظ على عرشه من منافسية [59]، وانخفضت كفاءة الصدور العظام الذين وصلوا إلى الباب العالي[60] بسب الدسائس والمؤامرات التي أدت بها الجواري وزوجات السلاطين والمساندة من البلاطات

وسفراء الدول الكبرى دور كبير لتعين صدور عظام غير اكفاء وانتشار الفساد والفوضى والقلاقل الداخلية وعدم استقرار الأمن[61]، وان شيوع ظاهرة الترف لدى السلاطين والصدور العظام ورجال الانكشارية[62] مما أدى اهمال الجهاز الحكومي لكافة مستوياته وعامل مؤثر على الحياة المدنية والعسكرية والاقتصادية والسياسية والدينية[63]، كان تدهور العلاقة بين مركز الدولة وولاياتها متأثرا بعنصرين مهمين هما نظام الحكم العثماني للولايات التابعة له ووضع الأقليات الدينية والقومية في الإمبراطورية مما أدى إلى تدهور نظام الحكم العثماني للولايات وبالتالي ظهرت توترات وحروب اهلية وطائفية وحركات انفصالية سهلت على الدول الأوربية التدخل و تحجيم و ايقاف التقدم العثماني في البلقان خصوصا وفي أوربا عموما[64] .

ان اختلاف الاديان داخل الدولة العثمانية استغلته القوى الاوربية مما اثار المشاكل امام الدولة على الرغم من انها عاملت رعاياها من غير المسلمين بالتسامح واحترام دياناتهم[65]، ولم تميز بينهم وبين المسلمين وان هذا التسامح الديني هو المؤشر الذي استغلته الدول الأوربية لضرب الداخل العثماني عن طريق تقوية نفوذ ومكانة رعاياها داخل الدولة [66] كما وأن الاثار التراكمية للدولة العثمانية سواء الدينية او القومية واحوالها الداخلية كان تاثير كبير على السياسة العثمانية مما جعلها تعاني من خسائر جسيمة[67]

يتبن لنا ان هذا الضعف وتولي سلاطين الحكم بأعمار صغيرة جدا وسيطرة رجال الانكشارية على مقاليد السلطة وتحكمهم في تعين السلاطين وعزلهم وتعيين الصدور العظام أدى إلى تركز السلطة بأيديهم وعدم سماحهم ومنعهم لكل محاولات الإصلاح التي حاول السلاطين وبعض الصدور العظام القيام بها للإصلاح بنية الدولة والمؤسسة العسكرية لكي تكون اقوى من الدول الاوربية التي استغلت عملية التوازنات في علاقاتها مع بعضها وبدأت بالضغط سياسيا على الدولة عن طريق التحكم والمساهمة في تنصيب سلاطين ضعاف او صغار بالسن وكذلك وضع صدور عظام موالين او ضعاف .

ثانياً: العامل العسكري: لقد اثرت التوازنات الاوربية على اهم مؤسسة عثمانية طالما ارعب اعدائها وهي عماد الدولة العثمانية والقوة التي كانت لاتقهر وكان نواة هذا الجيش هو الجيش الانكشاري الذي أسسه السلطان اورخان من اهم أسباب تفوق الدولة العثمانية في مرحلة نشوء الدولة وأتساعها وانتقالها من قوه إقليمية إلى قوه وجيش عالمي تهابه اغلب جيوش العالم اذ بدءت الدول الاوربية تتدخل بشكل مباشر اوغير مباشر في تعين وعزل قادة الجيش العثماني وفي عملية تسليحه [68] .

ان توقف فتوحات الدولة العثمانية ذا اثار بعيدة المدى على الجيش العثماني على اعتبار دولة حدود بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي قامت على اساس الغزو والجهاد وتدهور دورها ولم يعد جيشها مصدر رعب في أوربا بل مصدر للقلاقل الداخلية والهزائم المتكررة[69] .

ان طبيعة المؤسسة العسكرية العثمانية والتغير في صفوفها والتغير في طبيعة الحروب وأسلحتها خاصة مع ظهور المدفعية والأسلحة التي تطلب وجود جيش نظامي ثابت وقد ترتب على ذلك الغاء جيش السباهية (الفرسان)[70] فتحتم على ذلك اثار اجتماعية وسياسية هامة بعد ان كان السباهية القوة الضاربة

أصبحت من الماضي وبالتالي تأثر اغلب القطاعات الزراعية والتجارية وصاحب ذلك حدوث هجرة من الريف إلى المدينة مما زاد الاعباء المالية على الدولة[71] .

ان تدني مستوى التدريب والتسليح والتنظيم في الجيش العثماني بالمقارنة مع نظائرة الأوربية نظرا لاهمال وعدم مجاراة التقدم العلمي الذي اندفع اليه الغرب بخطى واسعة وانعكس على صناعاته وجيوشه[72]، لذا كانت هزيمة وفشل حصار فينا 1683م عن توقف المد العثماني نحو قلب أوربا ونجاح روسيا في قلب ميزان القوى العالمي بعد ان نجحت منذ عهد بطرس الا كبر في تحديث الجيش وأحداث ثورة من الاعلى نجحت في تطوير الأسلحة النارية المتقدمة وانشاء جيش ذو ادارة مركزية فعالة على عكس الجيش العثماني الذي ظل محافظا عل اسلحته القديمة رافضا أي فكرة لتحديثه [73] .

لقد كانت بريطانيا تساند روسيا في مواجهة الدولة العثمانية وقد ظهرت خلال الحرب الروسية العثمانية (1768-1772م)، فقد رفضت معها فكرة التشاور مع فرنسا لوقف استيلاء الروس على القرم، لقد كان تقربهم شكلي من الدولة العلية ولاسيما القرن الثامن عشر غير مباشر بقدر اهتمام بريطانيا بالتوازنات الأوربية وبعلاقاتها مع اعداء الدولة العثمانية ومالها من انعكاسات على المصالح البريطانية[74].

هنا لابد من القول ان هناك أبعاداً متداخلة تبين ان المسؤولية لاتقع على الجيش مجردا من الاطار المحيط به فقد جرت تغيرات اجتماعية وسياسية لايمكن فصلها لأسبابها ونتائجها عن الجيش العثماني[75]، وتدهور نظام الانكشارية وتحولت الدولة من دولة ذات حكم مركزي إلى دولة وحكم ازداد فيه الزعامات المحلية والقومية والقبائلية والدينية وزعماء الانكشارية[76].

ثالثاً: تطور القوة الاوربية وآثارها السلبية على الاقتصاد العثماني

انعكس التطور الاقتصادي الاوربي داخل الامبراطورية العثمانية بتحويل طرق التجارة العالمية عن المرور داخل اراضي الامبراطورية فبعد ان كانت الدولة في منتصف القرن السادس عشر تسيطر بمفردها على الطرق التجارية البحرية من المحيط الهندي الى المتوسط مما كان يدر عليهم مداخيل اقتصادية كبيرة، فقد ادى تدعيم القوه الهولندية والبريطانية ليسطرتها البحرية في القرن السابع عشر والثامن عشر الى حرمان الدولة العثمانية من سيطرتها المنفردة وفقدانها جزء كبير من التجارة العالمية ، بسب المراكز التجارية الاوربية على سواحل الهند والخليج [77] ، فقد أدى العامل الاقتصادي أمرا مهم في تطوير الدولة العثمانية وانعكس ذلك على مؤسساتها كافة سابقا ، فقد انعكست علامات التدهور لدى المواطن العثماني على المستوى الداخلي من جراء ارتفاع تكلفة الحياة والتضخم وعدم قدرة الدولة على السيطرة على الاسعار وعدم وجود ميزانه ثابته وحقيقية مما أدى إلى ازدياد الظلم وازدادت ظاهرة فرض الضرائب على الرعية وازدياد نفقات الجيش لازدياد اعداده بشكل كبير وعدم القدرة لدى الدولة لتسديد احتياجاته من رواتب وتجهيزات وأسلحة[78] ، وبينما لعبت الشركات الاوربية للتجارة دورا متزايد الاهمية في التجارة الخارجية للامبراطورية العثمانية في حين لم يلعب العثمانيين دورا اساسيا في هذه التجاره ولو بشكل بسيط، فقد انخفظت اسعار المواد الاولية العثمانية بالنسبة للتاجر الاوربي نظرا للانخفاض العملة الاوربية

وفي المقابل اخذت الصناعة الوطنية في التدهور في حين اخذت الواردات من اوربا في التزايد ومن ثم تفاقمت الازمة المالية التي كانت الدولة تعاني منها تحت تأثير اعتبارات داخلية وخاصة اعباء الجيش العثماني [79] .

ان الدولة العثمانية منذ منصف القرن الثامن عشر بدأت تفقد جزءاً كبيرا من تجارتها الخارجية وانخفض نصيبها من التجارة على مستوى العالم وبالمقابل ازداد وتضاعفت عدة مرات تجارة أوربا وبالتالي فقدت الدولة سمة من سمات تميزها على أوربا [80] .

ان الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوربية داخل السلطنة العثمانية لعبت عامل مهم في اضعاف اقتصادها فقد جعلت الامتيازات من الإمبراطورية العثمانية سوقا رائجا لمنتجات الأوربية وفساد الصناعة العثمانية الوطنية حتى تظل القاعدة الصناعية العثمانية محدودة إلى اقصى حد معتمدة على السوق الأوربية[81] .

ان استنزاف الإيرادات العامة في نفقات غير ضرورية وغير قانونية وان كثرت الضرائب أدت إلى ترك الأراضي والهجرة من الريف والقرى إلى المدن وبالتالي زيادة الضغط على المدينة وترك فراغ كبير في الريف [82] ، كما ان الهزائم السياسية والعسكرية التي اصابت الإمبراطورية واستعانتها بوساطة القوة الاوربية الى زيادة التسهيلات المقدمة للتجار هذه القوى في ارجاء الامبراطورية وكانت النمسا وانكلترا وهولندا وفرنسا وروسيا هي اهم هذه القوى [83] ،يبدو انعدم قدرة الدولة على معالجة المشكلة الاقتصادية المتراكمة منذ مدة طويلة القت بظلالاها على الواقع السياسي والعسكري للدولة .

سادساً: النتائج

1. إن اهم سمة من سمات التوازن الاوربي ان انكلترا كانت طرفا في هذه التوازنات ضد الهابسبورج ولكنها كانت الطرف المتحدي وليس المهيمن .
2. ظهر لنا تداخل في شرق اوربا وبين التوازنات في غرب اوربا وقد اخذت روسيا لصالح الهابسبورج تلعب دورا مؤثرا في توازنات شرق اوربا .
3. اثرت التوازنات الاوربية على الأوضاع الداخلية التي تعاني منها الدولة العثمانية انعكست على سياستها الخارجية بالرغم من انها حاولت في اكثر من مره اظهار عدم تأثير الوضع الداخلي على خططها الخارجية لكن الغرب الأوربي كان يعلم حقيقة الوضع بشكل واضح وبالتالي كانت اراء وقرارات الغرب نتيجة لقراءة الواقع العثماني بشكل صحيح .
4. عدم الاستقرار السياسي في الدولة العثمانية أسهم كعامل مهم في تدخل الغرب في الشأن العثماني الداخلي والخارجي بحجة حماية مصالح رعاياهم داخل الدولة وبالتالي زيادة التدخل.
5. عدم تطوير مؤسسات الدولة بشكل جدي والاستفادة من إمكانيات الغرب بشكل صحيح اعاق فرص التنمية الاقتصادية والبشرية وعدم الاستفادة من نتائج الثورة الصناعية بشكل صحيح على عكس الاوربيين الذين استفادوا من تلك الاختراعات .

6. كذلك كان لاتساع ممتلكات الدولة أثناء الانتصارات والفتوحات التي حققها يتطلب من الدولة توفير جيش كبير وإمكانات عسكرية فعالة للدفاع عنها، وموازنة مالية ضخمة يستوعب رواتب الجند وحاجات التوسع العسكري مع سلسلة الهزائم العسكرية التي منيت بها جعلت الدولة تتعرض إلى أزمة مالية لعدم إمكان الدولة من حصولها على إيرادات غير كافية ونتيجة لذلك عمت مظاهر الرشوة والتدهور.
7. استفادت الدول الأوربية من الثورة الصناعية لتحديث البنية التحتية سواء أكانت اقتصادية او عسكرية او في مختلف المجالات الأخرى وهذا انعكس على قدرة جيوشها وتسليحه في مواجهة جيش الدولة العثمانية والانتصار عليه.
8. ظهور الروس كقوة عالمية جديدة في القارة الأوربية وادعائها أنها وريثة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وبالتالي أخذت على عاتقا حماية ونصرة العنصر السلافي في أوربا الشرقية قد جعل الدولة العثمانية في مواجهة عدو آخر وكثرة الحروب مع الروس دليل واضح على ذلك .

الهوامش

(1)نادية محمود لطفي، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد الغالي للفكر الاسلامي، القاهرة 1966، ص73.

(2) يلماز اوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان ، ج1 ، (استانبول 1988) ص506 .

(3)m.s. Anderson ;eijhteenthcenturythedies of the balance of powers ; in r. hatton..m.s. Anderson (e ds) ;, Op. Cit.,p.p 184-185.

(4)هي اول تسويه دولية عامة شهدتها اوربا في العصور الحديثة تم توقيع سلام كاتو–كامبرازي بين هنري الثاني ملك فرنسا وفليب الثاني ملك إسبانيا في 3 ابريل 1559 في لوكاتو–كامبرازي نحو عشرين كم جنوب شرق كامبرية / H.Inaleik.The Ris of the Ottoman Empire (Cambridge -1976) P342.

(5) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة: نبيه امين فارس ومنير بعلبعكي،دار العلم للملاين،بيروت 1949 م،ج3، ص135–137 . .

(6) معاهدة فرنسية عثمانية عقدت في 6 شباط عام 1535 لرعايا فرنسا حق المتاجرة مع الدولة العثمانية برسوم كمركية تقل عما كان يدفعه رعايا الدول الاخرى فضلا عن تمتع الفرنسيين المقيمين بالدولة العثمانية بحق نقل الملكية وحرية ممارسة طقوسهم الدينية . ينظر :وليد تاريخ الامتيازات في الدولة العثملنية واثارها ،مجلة دراسات في الادب والعلوم الانسانية ، الجامعة الاردنية ، المجلد (24)، العدد (1) ‘ شباط ‘ ص148 .

(7)Alfred C.Wood, A History of the levant company (London-1964) pp.8-10..

(8)Kurat, Akdes Nimet,Turkiye ve Rusya (Ankara-1985).,p.p 501- 502.

(9)E.Creasy,History of the Ottoman Turks from the beginning of their Empire to the present time,(London –1878).,p.227.

(10)E.Creasy, Op. Cit.,p.227.

(11)حسين لبيب،تاريخ الاتراك العثمانيين،مطبعة الواعظ، القاهرة 1917، ص 121–123 .

(12)احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ،الطبعة الثانية ‘ دار الشروق ، القاهرة–1982م ،ص155 .

(13) فشر .هـ.ال، التاريخ الاوربي الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، تعريب زينب عصمت راشد واحمد عبد الرحيم مصطفى ، (مصر . 1962م) ص373 .

(14)E.Creasy, Op. Cit.,p.218-229.

(15) وليد العريض ، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية واثارها ، مجلة دراسات في الادب والعلوم الانسانية ، الجامعة الاردنية ،المجلد (24) ، العدد (1) شباط 1997م ،ص148 .

(16) البندقية: فينيزيا تقع شمال شرقي ايطاليا على البحر الأدرياتيكي وهي عبارة عن مجموعة جزر. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقني، دار النفائس، بيروت،ط1 1984م، ص163.

(17) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب : نبيه فارس ومنير بعلبكي ، (بيروت –1965م) ص139– 154 .

(18) كامل باشا، تاريخ سياسي دولت علية عثمانية (استانبول –1327هـ) برنجي جلد ، ص249–257 .

(19) عبد الامير.محمد امين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي (1747–1778) ، تعريب : هاشم كاظم لازم (بغداد 1977) ص ص 39–40 .

(20) سيار كوكب الجميل، الدولة العثمانية وتكوين العرب الحديث،مؤسسة الابحاث العربية، بيروت 1989م،ص80 .

(21)J.N.D.Kelly,The Oxford Dictonory of popes.(Oxford .1986) p.p283-284.

(22) يوسف عبدالكريم طه الرديني، المؤسسة العسكرية العثمانية 1299–1839م ، دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، 2002م، ص158.

(23) يوسف عبدالكريم طه الرديني، المؤسسة العسكرية العثمانية ص158.

(24) عثمان زاده: جريدة الحوادث مطبعة سي، استانبول 1271هـ، ص10 . صدر أعظم: مصطلح أصله عربي يتكون من مقطعين الأول – الصدر ومعناه– الأول في كل شيء، أو صدر المجلس، إشارة إلى مهابة ومكانة الملقب به بين القوم، وقد استعمل لقب الصدر في العديد من الألقاب المركبة في العهود الإسلامية المختلفة، وخاصة في عصر المماليك، أما المقطع الثاني– الأعظم– ويعني الكبير، والعالي، ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت وآخرون، مجلد 14، ص162–163؛ أحمد صدقي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ الاسلام ، د .ت ، ص143.

(25)H.Inaleik.The Ris of the Ottoman Empire (Cambridge -1976) . pp342-350.

(26) وهي أسرة ألبانية تنسب إلى مدينة صغيرة في أسيا الصغرى تدعى كوبري، وتقع على روافد نهر القزل، وتبعد حوالي اثنا عشر فرسخاً من مدينة أماسيا، وقد نزحو إليها من ألبانيا، وعرفوا بأسم كوبريلي، نسبة إلى مدينة كوبري. وعلى الرغم من كبر سن كوبريلي عند توليه المنصب، إلاَّ أنَّه كان يتمتع بالخبرة والقدرة على التغيير، وقد أجرى العديد م ن الإصلاحات في الأمور المالية والعسكرية، وتمكن من إصلاح ميزانية الدولة بعد إن كانت تعاني من عجز واضح، كما وتمكن من استرجاع بعض الجزر التي استولت عليها البندقية، وشن العديد من الحملات العسكرية في مناطق ترانسلفانيا والأفلاق، وأخضع المتمردين، وبذلك أعاد إلى الدولة العثمانية هيبتها. ينظر: أحمد رفيق، كوبريليلر، استانبول، كتابخانه عسكري، 1331هـ، ص17؛ أحمد بن إسماعيل جودت، تاريخ جودت، ج1، ص56.

(27)Ismail HakkiUzuncrsil, OsmanliDevletininlimiyyeTeskilati, Ankara, 1965a449-455 .

(28)M.Imamuddin:opcit, p.p28-33.

(29) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص137.

(30)Kelly:opcit, p.138.

(31)سيار كوكب الجميل، المصدر السابق، ص405–409 .

(32)جورج كيبرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط، ترجمة عمر الاسكندراني ود حسين سليم، مركز دراسات الشرق الاوسط، القاهرة 1975م، ص108-109 .

(33)M.Imamuddin:history of middle East and NorthAfricaNayma,sonsdacca (East pakinao)1960, p.p 26-27.

(34)وجيه كوثراني،الفقية والسلطان،المركزالعربي الدولي، القاهرة 1990م، ص11 .

(35)حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة 1983م، ص36 .

(36)M.Imamuddin:opcit, p.p28-33.

(37) Norman Daniel : Islam Europeand empire. The University press, Edinburgh 1966,:, p.p3-39.

(38)ارنست باركر، اثار الحروب الصليبية، تراث الإسلام، ج1، ص139-140 .

(39) نادية محمود لطفي، المصدر السابق، ص83 .

(40)هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774-1856، بغداد، دار ومكتبة عدنان، 2016، ص31.

(41) قيصر روسيا 1682-1725 وسع حدود بلاده غربا وجنوبا فأحتل قلعة ازوف وحارب السويد والبولندين، نظم الجيش والادارة والتعليم ودعا الى حرية المراة واقتباس التقاليد الغربية وبنا مدينة سان بطرسبورغ واتخذها عاصمة لروسيا والغى البيطرياركية ونصب نفسه رئيسا للكنيسة الارثوذكسية، وتنتسب اليه الوصية الشهيره (وصية الشهيرة) الداعية الى الوصول الى المياه الدافئة .محمد محمد صالح ، تاريخ اوربا من عصر النهضة الى الثورة الفرنسية 1500-1789م ،بغداد 1982، ص411 ؛ the new encycopaedia Britannica.Vol .25.1986..pp518-519.

(42) عبد الحميد البطريق، تاريخ اوربا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا،منشورات جامعة الرياض، الرياض 1978م، ص198-199 .

(43) حسين لبيب، تأريخ المسألة الشرقية، مصر، مطبعة الهلال، 1921، ص58.

(44) محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية 1875-1878، دراسة في السياسية العثمانية والدبلوماسية الأوربية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، 2000، ص32-33.

(45)أحمد ناطق ابراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردنيل 1774-1815، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، 2003، ص58-59.

(46) عبد الحميد البطريق، المصدر السابق، ص 198-199.

(47) محمد فريد بيك، المصدر السابق ص304 .

(48) برنار لويس، السياسة والحرب في الإسلام، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير،عالم المعرفة،1987م، ص294.

(49)برنار لويس، المصدر السابق، ص294 .

(50)أحمد عبد الرحيم مصطفى، تاريخ العرب الحديث منذ الغزو العثماني وحتى الوقت الحاضر، القاهرة 1962م، ص155 .

(51)محمد فريد بيك، المصدر السابق، ص130 .

(52)E.Creasy, Op. Cit.,p.319-321.

(53)ثريا فاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها،ترجمة: حاتم الطهاوي،بنغازي،دار المدار الإسلامي،2008م، ص138.

(54)jc.Hurewitz:OttomanPiplomacyand and the European state system:middle East Journal.V15 (1961) pp141-142.

(55) وهبي بك ، الاثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس، (بولاق . 1322هـ) ص83.

(56)إكمال الدين احسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، استانبول، مركز الابحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999، ص75.

(57)إكمال الدين احسان اوغلي، المصدر السابق، ص78.

(58)E.Creasy, Op. Cit.,p.319-321.

(59) محمد شاكر، المصدر السابق، صص110-112 .

(60)الباب العالي: وهو مبنى ضخم بني في عهد السلطان محمد الرابع (1649-1661م) يقيم به الصدر الأعظم هو واعوانه ويعد الصدر العظم هو المنصب الثاني لوظيفة السلطان وكان درويش محمد باشا أول صدر اعظم سكن هذا المبنى وسمي هذا المركز الذي تصدر منه الأحكام بـ(الباب العالي). أحمد شلبي، موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة للطبع والنشر، القاهرة، 1986، ط7، ج5، ص245.

(61)B.Lewis.Ottoman Observers of the Ottoman Islamic studies Vol 1 (1962) p.p71-81.

(62)الجيش الانكشاري: عرف باسم يكي جدي ويلفظ يني جدي او يني تشاري ويكجاري بالتركية، وبالعربية يعرف باسم الانكشارية ومعناها الجيش الجديد ويذكر بعض المؤرخين ان السلطان مراد الأول هو أول من أسس جيش من المماليك اطلق عليهم ينكجدية وتعني الجيش الجديد، لكن اغلب المصادر تشير إلىان السلطان اورخان هو أول من أسس الإنكشارية واتخذهم جيشاً له ويمكن ان يكون ظهور ذلك الجيش وتقدمه حدث في عهد السلطان مراد الأول. لمزيد من التفاصيل ينظر: طه زاده عمر فاروق، تاريخ ابو فاروق، مطبعة المدى، استانبول، 1325هـ، ج1، ص70، محمد عبدالمعطي الاسحاقي، اخبار الدول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، د.مط، مصر، 1310هـ، ص139؛ رائد سامي حميد، الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الأول، جامعة تكريت، كلية التربية، 2011م، ص24؛ مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص50؛ جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الأول (1512-1520م)، جامعة الموصل، كلية التربية، 2004م، ص3.

(63) نادية مصطفى،المصدر السابق، ص 93.

(64)محمد كرد علي، خطط الشام،المطبعة الحديثة، دمشق 1343هـ،ج3، ص235-244 .

(65)حسين لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، مكتبة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة 1921م، ص7-9.

(66)مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مطبعة الآداب، القاهرة 1978م، ص6-12 .

(67)j.Saunders:The problem of Islamic decadenceoournal of world history. Vol. 7.No.3.1963.,p,p703-705.

(68)B.Lewis.The Emergence of modern ,Op. cit.,p.23-24.

(69)H.Inaicik :Op. Cit.,pp342-343.

(70)السباهيين: ويقصد بهم الفرسان وتعد اقدم القوات التي عرفتها الدولة العثمانية والسباهية هي احدى فرق الفرسان لموقعها المهم في مقدمة الجيش وواجبها الأساسي هو الإغارة والهجوم على العدو. لمزيد من التفاصيل ينظر: سيد محمد السيد، مصر في العصر العثماني في القرن 16 (دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م، ص52؛ رائد سامي حميد، المصدر السابق، ص60-61.

(71)H.Inaicik :Op. cit.,pp342-343.

(72) ارنود توينبي، العالم الإسلامي والغرب، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت 1960م ن صص26-27 .

(73) شوقي ابوخليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، دار الفكر سوريا 1987م، ص194 .

(74) محمد انيس، الخطوط الرئيسية لسياسة انجلترا تجاه الدولة العثمانية في القرن 18م، مجلة الدراسات التاريخية،مجلد 8.1959م، صص190-191.

(75)H .Manceill:The Ottoman Empire in world History in kurpat ced,pp.39-41.

(76)M.G Hadyson ,The Venture of Islam ,(Chicago-1974) .,p.p 127-132.

(77)B.Lewis.The Emergence of modern ,Op. cit.,p.30-34.

(78)B.Lewis.The Emergence of modern ,Op. cit.,p.30-34.

(79) احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، صص39-40 .

(80)Charles Issawi:The Ottoman Empire in the European Economy ,in:k.karpat(ed): ,Op. cit.,p.p 113-115.

(81)Robert mantran:letrans formation du commerce danslempire ott oman au xvIII siècle .r.mantran(ed),Op. cit.,pp.221-230.

(82)B.Lewis,op.cit,p34.

(83)B.Lewis,op.cit,p34

المصادر باللغة الانكليزية

1. Nadia Mahmoud Lotfi/ the Ottoman era of power and hegemony to the beginning of the Eastern Question/ International Institution of Islamic Thought/ Cairo (1961).
2. Yilmaz Oztuna, History of the Ottoman Empire, translated by Adnan Mahmud Salman, Part 1 (Istanbul 1988).
3. Karl Brockelmann, A History of the Islamic Peoples, translated by Nabih Amin Fares and Munir al-Baalbaki, publishing House of Science for the Millions, Beirut 1949.
4. Walid Al-Arrayed, History of Privileges in the Ottoman Empire and Their Effects, Journal of Studies in Literature and Humanities, University of Jordan, Volume (24), Issue (1).
5. Hussein Labib ،A History of the Ottoman Turks, Al-Waa'iz Press, Cairo 1917.
6. Ahmed Abdel Rahim Mustafa, In the Origins of Ottoman History, Second Edition Dar Al-Shorouk, Cairo 1982.
7. Fisher- H - L. A History of Modern Europe from the European Renaissance to the French Revolution, Arabization of Zainab Ismat Rashid and Ahmed Abdel Rahim Mustafa (Egypt, 1962).
8. Muhammad Frederick, History of the Ottoman Attic Empire, Achieving Ihssan Haqqi, Dar Al-Nafaes, Beirut, 1st Edition, 1984.
9. Kamal Pasha, History of an Ottoman State (Istanbul1327) Prinji Hillah.
10. Abdul Amir Muhammad Amin, British interests in the Persian Gulf (1747-1778)
.Arabization: Hashem Kazem Lazem (Baghdad 1977)
11. Caear Kawkab Al-Jameel, The Ottoman Empire and the Modern Arab Formation, The Arab Research Foundation, Beirut 1989
12. Muhammad Anis, The Main Lines of England's Policy Toward the Ottoman Empire in the Eighteenth Century, Journal of Historical Studies, Journal of 8, 1959.
13. Yusef Abdul Karim Taha Al-Radini, The Ottoman Military Institution 1299-1839, Historical Study, PhD Thesis (unpublished), Faculty of Arts, Basra University, 2002.
14. Othman Zadeh: Al-Hawadith Newspaper, C Press, Istanbul 1271 A.H.
15. The Department of Islamic Knowledge, translated by Muhammad Thabet and others, Journal of 14.
16. Ahmed Sidqi Shairat, History of the Sheikhs of Islam Foundation, W. T.
17. Ahmad Rafiq Kubrili, Istanbul, Askari Library 1331 AH.
18. Ahmed bin Ismail Jawdat, The History of Jawdat, part 1 n. d.

19. George Kiberk, A Brief History of the Middle East, translated by Omar Al-Iskandarani and Dr. Hussein Selim, Center for Middle East Studies, Cairo 1975.
20. Wajih Kawtharani, Al-Faqih and Al-Sultan, International Arab Center, Cairo 1990.
21. Hussein Moannis, the Islamic Orient in the Modern Era, Hegazi Press, Cairo 1982.
22. Ernest Barker, the Effects of the Crusades, the Heritage of Islam, Part 1.
23. Husham Saleh Al-Tikriti, the Eastern Question, Phase One, 1774-1856, Baghdad publishing House and Adnan Library, 2016.
24. Muhammad Muhammad Salih, History of Europe from the Renaissance to the French Revolution 1500-1789, Baghdad 1982.
25. Hussein Labib, History of the Eastern Question, Egypt, Al-Hilal Press, 1921.
26. Mohsen Hamza Hassan Al-Ubaidi, The Balkan Crisis 1875-1878, Study in Ottoman Politics and European Diplomacy, Unpublished PhD thesis, University of Mosul, College of Education, 2000 AD.
27. Ahmad Nateq Al-Ubaidi, The Bosporus and the Dardanelles Straits 1774-1815, Historical Study, MA Thesis (unpublished), College of Education, Ibn Rushed, University of Baghdad, 2003 AD.
28. Abdul Hamid Al-Batriq, History of Modern Europe from the Renaissance to the Vienna Conference, Riyadh University Publications, Riyadh 1978.
29. Bernard Lewis, Politics and War in Islam, The Legacy of Islam, translated by Muhammad Zahir, The World of Knowledge 1987.
30. Ahmed Abdel Rahim Mustafa, Modern History of the Arabs from the Ottoman Conquest to the Present, Cairo, 1962.
31. Thoraya Farooqi, The Ottoman Empire and the World Surrounding It, translated by Hatem Al-Tahawi, Benghazi, publishing Dar Al-Madar Al-Islami.
32. Wehbe Beck, the precious impact on the history of Peter the Great and the trial of Al-Sack / Bulaq, Egypt, 1322 A.H.
33. Akemal Al-Din Ihsaan, Ottoman Empire History and Civilization, translated by Salih Saadawi, Istanbul, Center for Research, History, Arts and the Islamic Intifada, 1999.
34. Ahmed Shalaby, Encyclopedia of Islamic History and Islamic Civilization, Al-Nahda Library for Printing and Publishing, Cairo 1986, 7th Edition, 5th part.
35. Raed Sami Hamid, the Ottoman Empire during the reign of Sultan Murad I, PhD thesis (unpublished), Tikrit University, College of Education, 2011 AD.
36. Mustafa Abdel Karim Al-Khatib, Dictionary of Historical Terms and Titles, the Resala Foundation, Beirut, 1996.
37. Jassim Muhammad Al-Adoul, the Ottoman Empire during the rule of Sultan Selim I (1512-1520), University of Mosul, College of Education, 2004 AD.
38. Muhammad Kurd Ali, Khotat al-Sham, Modern Press, Damascus 1343 AH Part 3.
39. Hussein Labib, History of the Eastern Question, Library of the Royal Society for Historical Studies, Cairo 1921.
40. Mustafa Kamel, the Eastern Question, Al Adab Press, Cairo 1978.
41. Syed Muhammad Syed, Egypt in the Ottoman Era in the 16th Century (Documentary Study on the Impact of Administrative, Judicial, Financial and Intellectual Systems) Madbouly Library, Cairo 1975.
42. Arnold Toynbee, the Islamic World and the West, Publications of the Commercial Office for Printing, Distribution and Publishing, Beirut 1960.
43. Shawqi Abu Khalil, Factors of Victory and Defeat throughout Our Islamic History, Dar Al-Fikr, Syria 1987.